

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة مدائح والدة الإله 2016-3-25

كُلُّ الأَرْضِيِّينَ فليبتهجوا بالرُّوحِ حَامِلِينَ المصَابيحَ، وطبيعةُ
العقليِّينَ غَيْرِ الهَيُولِيِّينَ فَلَا تَحْتَفِلْ مَعًا. مُعَايِدَةٌ
لعجائبِ أُمِّ الإلهِ الشَّرِيفِ وهاتفة: إفرحي يا والدةَ الإلهِ
النَّقِيَّةِ الدَّائِمَةِ البتوليَّةِ والكُلَّيَّةِ الطُّوبَى،
أيها الأخوة المحبوبون ،
أيها المسيحيون الأتقياء ،

إنَّ كنيسةنا الأرثوذكسيَّة المُقدَّسة تَدْعُونَا عبرَ فَمِ القديسِ
يوحنا الدمشقي لكي نحتفل " بعجائبِ أُمِّ الإلهِ المقدَّسة " أي
بالأحداثِ العجائبية لِأُمِّ الإلهِ الكلمة ، العذراءِ مريمَ ، أُمِّ ربِّنا
ومخلصنا يسوع المسيح.

إنَّ أحداثَ والدةِ الإلهِ العجائبيةَ هي من جهةٍ ، بشارَةُ
العذراءِ الطاهرةِ مريمَ من الملاكِ جبرائيلِ المُرسَلِ من الله
والقائلِ للنقية : " إِفْرَحِي ، أَيَسْتَهَا المُمْتَلِئَةُ
نِعْمَةً " ، الرَّسَبُّ مَعَكَ . مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي
النِّسَاءِ... وَهَذَا أَنْتِ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا
وَتُسَمِّيهِ يَسُوعَ . (لوقا: 1: 26-31) ومن جهةٍ أُخرى هي تجسد
الإلهِ الكلمةِ وتأنسه بالروح القدس من دماء الطاهرة النقية العذراءِ
مريمَ .

إنَّ هذا السر الذي لا يُدرِك ، أيُّ سرِّ التدبيرِ الإلهي العظيم ، تُكْرِمُهُ
وتوقرهُ كنيسةنا المقدَّسة في شخصِ العذراءِ الطاهرةِ والمباركةِ والدةِ
الإلهِ مريمَ ، وذلك عبرَ خدمةِ المديحِ الذي لا يُجْلَسُ فِيهِ والذي
يُرْتَلُ خلالَ أيامِ الصومِ الأربعينيِّ وهذا لأنَّ من خلالِ والدةِ قدِّ ، تَأْلَهُ
جنسِ البشرِ كما يقولُ مرنمُ الكنيسةِ القديسِ ثيودوروسِ
الستودييِّ: "إِيَسَّاكَ نَسْبِحُ أَيَّتْهَا البتولُ النقيةُ فخرَ جِنْسِنَا
ذاتِ كُلِّ فضيلةٍ لِإِنْنَا بوساطتكِ تَأَلَّهْنَا إذْ ولدتِ المسيحَ الإلهَ
المُخْلِصَ الذي حلَّنا من اللعنة .

وربما يتساءل أحدٌ ما ، ما هو المقصود باللعنة؟
هي تلك التي سَحَقَهَا وحرَّرتنا منها المسيحُ ألا وهي الخطيئة ، التي

ارتكبها آدم القديم في الفردوس ، وهي التي أدخلت للعالم الفساد كما يؤكد ذلك القديس الحكيم بولس الرسول في رسالته إلى رومية إذ يقول: " كَأَنَّ زَمَامًا بِإِي زَسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ ، وَهَكَذَا اجْتَنَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ ، إِذْ أُخْطِئَ الْجَمِيعُ . (رومية 5:12) . ولكن ابن العذراء مريم أي المسيح قد: " افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلَانَا ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ : «مَلْعُونَ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» (غلاطية 3:13) كما يعلم القديس بولس الرسول.

ولأنَّ "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (1 تيم 3: 16) وبكلامٍ آخر أيَّ أنَّ الإله الكلمة قد اتخذ جسداً من العذراء مريم أمَّ إلهنا الذي ولدته وصار منها على صورتنا و هيئتنا ، لذلك فإنَّ العذراء مريم أصبحت مشاركةً في خلاصنا نحن البشر لهذا فإنَّ مرثم الكنيسة يهتف عبر رئيس الملائكة جبرائيل قائلاً: "إفرحي يا من بها أشرق السرور ، إفرحي يا من بها تضحلُّ اللعنة ، إفرحي لأنك صيرتِ سُدَّةً للملك ، إفرحي لأنك تحملين الضابط الكل.

حقاً أيها الإخوة الأحبة ، إنَّه من خلال العذراء مريم قد أشرق نور الفرح في العالم المسيح واضمحلَّت اللعنة كما يقول بولس الرسول: "لَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلُمَةً ، وَأَمَّا الْآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ" (أفسس 5:8)

إنَّ والدة الإله العذراء مريم المباركة ، صارت إناءً لنعمة الروح القدس الذي ينير ويقدر كل إنسان آتٍ إلى العالم.

لهذا فإنَّ القديس غريغوريوس بالاماس يدعو والدة الإله بأنها : "هي التُّخْمُ (أي الحد) بين غير المخلوق (الألوهة) و المخلوق و يكمل القديس قائلاً: بأنه لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الله إلا من خلالها ومن خلال الوسيط الذي ولد منها ، ولا حتى أيُّ من مواهب وعطايا الله يُعطى من خلال الملائكة أو البشر إلا من خلالها هي فقط.

لذلك فإنَّ مرثل الكنيسة يهتف: " إفرحي لأنك وجدتِ سُدَّةً للملك ، وأيضاً إفرحي يا سلماً سماويةً بها انحدر الإله ، إفرحي يا جسراً ناقلاً الذين في الأرض إلى السماء . إنَّ هذا الجسر هي العذراء مريم والدة الإله الفائقة القداسة وهو ليس جسراً عقلياً أو روحياً ولكنه جسراً طبيعياً من جسد ونفس وذهن وهي ، أي العذراء ، مشابهة تماماً لنا نحن البشر (يع 5:15) لهذا فإنَّ والدة الإله هي حمايتنا وعليها ألقينا كلَّ رجاءنا

لهذا فإنَّ كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة و من خلال استنارة الآباء

المتوشحين بالله بإشراقات الروح القدس ومعلمي الكنيسة قد صاغت لاهوتياً وعقائدياً وتسبيحياً ، للفائقة القداسة الممتلئة نعمة والدة الإله قائلةً : افرحي يا علواً يُعسر الصعود إليه بالأفكار البشرية .

إن شخص الطاهرة العذراء والدة الإله هي النموذج الحي لطاعة مشيئة الله الآب وابنها ربنا يسوع المسيح . والطاعة لمشيئة الله يعني الصوم والذي نعني به إخضاع إرادتنا البشرية لإرادة الله . وأيضاً يعني التوبة والاعتراف بهفواتنا وخطايانا " وَمَنْ يُقْبِلْ^و إِلَيَّ^و - لَا أُخْرِجْهُ خَارِجًا . (يو 6:37)

هوذا الآن أيها الأخوة الأحبة الآن زمان و وقت الصوم و زمان التوبة والإعتراف . هذا وقت مقبول . إن العذراء مريم والدة الإله هي الشفيعة والوسيط المثالية لنا عند ابنها وإلها كما يقول مرثم الكنيسة : أيتها الصالحة , حامي عن كل الملتجئين بايمان , الى سترك العزيز . لأنه ليس لنا , نحن الخطاة , المنحنين من كثرة السيئات . وسيط دائم عند الله . في الشدائد والاحزان . سواك , يا أم الاله العلي . لأجل ذلك , نجثو لك ساجدين . فأنقذي عبيدك من كل شدة وأهلينا أن نجوز ميدان الصيام المبارك وأن نصل إلى قيامة ربنا وإلها ومخلصنا يسوع المسيح المجيدة .

آمين